مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد:06/ العـدد:01 (2022)، ص 20/12

أثر القراءات القرآنية في تخليد بعض الظواهر اللغوية، والخصائص اللهجية

The impact of Quranic readings in immortalizing some linguistic phenomena and dialectical characteristics

د. غنية بوحوش
gbouhouche@gmail.com
جامعة محمّد الصّديق بن يحيى، جيجل (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/01/01 تاريخ القبول: 2022/04/12 تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص:
حاول هذا المقال أن يُبْرِزَ فضل القراءات القرآنية في تخليد ظواهر لغوية، وخصائص لهجية، صوتية، وصرفية، ونحوية، ما كانت لتحيى، وتُحْفَظَ لو لم ترتبط بالقرآن الكريم وقراءاته متواترةً، وشاذةً.
ومن ذلك: ظاهرة الإبدال الصوتي، والصرفي، في الهمزات، وأحرف أخرى، وظاهرة جواز مجيء الفعل الماضي حالا، وجواز الاختلاف في الفصائل النحوية تذكيرا وتأنيثا، وغير ذلك كثير جدا، مما جمعته مصنفات القراءات، واحتجت به، وله، مصادر اللغة.
كلمات مفتاحية: أثر، القراءات القرآنية، ظواهر لغوية، خصائص لهجية.

Abstract:
This article attempts to highlight the favor of Quranic readings in perpetuating linguistic phenomena and dialectal, phonemic, morphological, and grammatical characteristics that would not have been revived and preserved had they not been linked to the Holy Quran and its frequent and irregular readings. Some of the phenomena are the phonetic and morphological substitution in hamzats and other letters, the permissibility of the past tense verb functioning as an adverb, the permissibility of differences in grammatical categories in terms of masculine and feminine, and many other matters that have been collected in the compilations of readings, and for which/by which the sources of language have argued.
***Keywords**: impact, Quranic readings, linguistic phenomena, dialectical characteristics*

مقدمة:

فضل القرآن الكريم وقراءاته على اللغة العربية جمّ، عظيم، بيّن، جليّ، فهو السببُ المباشرُ في نشأةِ أغلبِ علومِها، وهو مصدرُ مادتها، وشواهدها، وسرُّ حفظها، وخلودها.

والقرآن الكريم، هو كتابُ العربيةِ الأعظم، وقراءاته متواترةً وشاذّةً، هي المصدر الأصيل الذي حفظ مختلف الظواهر اللغوية واللهجية: صوتية، وصرفية، ونحوية، والدلالية، والبلاغية.

والصلةُ بين الدرس اللغوي واللهجي، والدرس القرائي بالغةُ القوة، شديدةُ البيان. وللكيفيةِ الدقيقة التي نُقلت بها القراءات القرآنية، ولطريقها الأمين، فهي أوثقُ الشواهد على ما كانت عليه ظواهرُ العربية الفصحى الصوتية والصرفية والنحوية، وخصائصُها اللهجيةُ المتعددة.

وثمة ظواهر لغوية وخصائص لهجيةً في اللسان العربي –صوتيا وصرفيا ونحويا-، ما كان لها أن تَحْيى، وتخلدَ إلا لارتباطها بالقراءات القرآنية.

والسؤال: ماهي الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، التي حفظتها القراءات القرآنية؟

وقد حاول هذا المقال الإجابة عن السؤال السابق، وفق منهج استقرائي، تحليلي.

وفضلا، عن قصد المقال، إلى تأكيد فضل القراءات القرآنية على العربية بمختلف مستوياتها، رام أيضا الشهادة لسعة اللسان العربي، وثرائه، وتنوعه. والإقرار له بالجلال، والجمال، وهو جدير بالعناية، والدّرس.

وانتظم المقال في ثلاثة مباحث:

الأول: **نماذج من الظواهر الصوتية المحفوظة قرائيا.**

الثاني: **نماذج من الظواهر الصرفية المحفوظة قرائيا.**

الثالث: **نماذج من الظواهر النحوية المحفوظة قرائيا.**

وتفصيلها في الآتي:

المبحث الأول: نماذج من الظواهر الصوتية المحفوظة قرائيا:

أثّرت القراءات القرآنية[1] الجانب الصوتي في اللسان العربي، بأن أمدته بمادة صوتية غزيرة[2]، تمثلت في العديد من الظواهر الصوتية التي حُفِظَتْ غَضَّةً كما لُفِظَتْ، وسُمِعَتْ، لاتصالها بكلام الله تعالى، ومنها:

أولا: ظاهرة الإمالة:

والإمالة في عرف القرّاء، أن: **"ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء؛ كثيرا وهو المحض، ويقال له الإضجاع والبطح وربما قيل له الكسر"**[3]، وتدعى أيضا الإمالة الكبرى، وأن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلا، ويقال له التقليل، أو التلطيف أو بين بين أو بين اللفظين[4]، وهو الإمالة الصغرى.

وللإمالة فائدتان:

الأولى: صوتية

وهي سهولة اللفظ، ذلك أن اللسان؛ يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخّف على اللّسان من الارتفاع[5]، وكذا إيجاد نوع من الانسجام والتناسب بين الأصوات المتجاورة، فلا يكون ثمة نشاز، **قال المارغني (ت 1349هـ)[6]: "والغرض الأصلي من الإمالة تناسب الأصوات وتقاربها، لأن النطق بالياء والكسرة مستفل والألف متصعد مستعل، وبالإمالة تصير الأصوات من نمط واحد في التسفل والانحدار"**[7].

الثانية: صرفية

وهي الدلالة على أن أصل الألف ياء أو التنبيه إلى انقلابها إلى الياء في حالات تصريفية معينة، وقد دلّ **الداني (ت444هـ)**[8]، -فيما نقله عنه ابن الجزري (ت833هـ) على هاتين الفائدتين بقوله -: **"وأختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين لأن الغرض من الإمالة حاصل بها وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء"**[9].

والفتح والإمالة لغتان عربيتان فصيحتان، غير أن الفتح كثر في الحجاز، فلم يمل أهله إلا النادر من الكلمات، والإمالة شاعت في أهل نجد من تميم وأسد وقيس **قال الداني: "والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فالفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"**[10].

ويمكن أن نلحظ بأن الإمالة إنما نسبت إلى القبائل البادية التي تنحو في كلامها إلى الاقتصاد في المجهود العضلي والإمالة تحقق لهم ذلك[11].

وتكثر الإمالة الكبرى في قراءتي حمزة والكسائي، ويكثر التقليل في رواية ورش عن نافع، وانفردت قراءة الكسائي بإمالة تاء التأنيث حال الوقف عليها[12]، وإمالة الفتحات والألفات التي ما يزال أثرها قائما في بعض اللهجات المحلية المعاصرة، ومن ذلك ما عليه بعض المناطق في الجزائر وتونس ومصر، وإمالة تاء التأنيث، وهو ما عليه أهل الشام (سوريا، لبنان، فلسطين والأردن)، ومنه انتقلت الظاهرة إلى تركيا، كقولهم: سليمه، وحليمه...

ثانيا: ظاهرة تسهيل الهمز

الهمزة صوت صعب لخروجه من أقصى الحلق، لذا مالت العرب إلى التخلص منه، ما وجدت إلى ذلك سبيلا، إما بالتليين (التسهسل بين بين)، أو الإبدال، أو النقل أو الحذف، **قال الداني:**

الهَمْزُ فِيهِ كُلْفَةٌ وَتَعَبُ لأَنَّهُ حَرْفٌ شَدِيدٌ صَعْبُ
يُخرِجُهُ النَّاطِقُ بِاجْتِهَادِ مِنْ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ اعْتِمَادِ
يَعِيبُهُ الكُلْفَةُ وَالتَّقَطُّع إِذْ هُوَ كَالسُّعْلَةِ وَالتَّهَوُّع
لِذَاكَ فِيهِ الثِّقْلُ وَالتَّسْهِيلُ بِالجَعْلِ بَيْنَ بَيْنَ وَالتَّبْدِيلُ[13]

فأمّا جعلها بين بين، فهو اللفظ بها بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها، **قال الشاطبي (ت590هـ)**[14]:

والإِبْدَالُ مَحْضٌ وَالْمُسَهَّلُ بَيْنَ مَا هُوَ الْهَمْزُ والْحَرْفُ الَّذِي مِنْهُ أُشْكِلا[15]

وأما الإبدال فتغييرها إلى حرف مد أو واو أو ياء خالصتين، وأما النقل فنقل حركتها إلى الحرف الساكن قبلها، وأما حذفها فإسقاطها من الكلام البتة.

ملحوظة:

ويطلق التسهيل ويراد به مطلق التغيير الذي يطرأ على الهمزة، ولكنه لا يصدق إلا في جعلها بين بين، وهو ما يسمى أيضا **بالتليين**[16] أو **البينة**[17]، لبقاء أثر من الهمزة، وتزول الهمزة، وتبقى حركتها حال النقل، في حين تتغير إلى حرف آخر تماما في حال الإبدال حرف مد أو واوا أو ياء خالصتين، ولا يبقى منها شيء حال الحذف أو الإسقاط، ولا يسمى حينها – حال النقل والإبدال والإسقاط -، تسهيلا إلا تجوزا، لأنه حينها لا يكون تسهيلا للهمزة وإنما هو تسهيل للكلام.

ومن القبائل التي نحت لتسهيل الهمز: قريش بمكة والأوس والخزرج بالمدينة النبوية، في حين أبقت عليه قبائل تميم وقيس وبني أسد البدوية محققا، بل وبالغت بعضها في تحقيقه، إذ يذكر الفرّاء أن همزة يأجوج ومأجوج لغة بني أسد ولا وجه له إلا اللغة المحكية وأنهم كانوا يهمزون العالم والخاتم والباز[18].

ولئن استقر تحقيق الهمز في العربية الفصحى الحديثة، إلا أن تخفيفها بأنواعه، خلدته قراءات قرآنية متواترة، وهي: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ورويس عن يعقوب، وهي ظاهرة ما يزال أثرها قائما في لهجات محلية، كقولنا: لَرْضُ، ذِيبٌ، مُومِنٌ، رَاسٌ...

ثالثا: ظاهرة الإسكان:

وهو تجريد الحرف من الحركة، وقد يكون الحرف المسكن عينا للكلمة أو لاما لها، كما يشمل التجريد الحركات الثلاث خلافا لما ذهب إليه **سيبويه** حين **قال: "ولم يجئ هذا –يقصد الإسكان– في النصب، لأن الذين يقولون كَبْدٌ وفَخْذٌ، لا يقولون في جَبَلٍ جَبْلٌ"**[19].

ولقد ساق عبد الصبور شاهين أمثلة كثيرة من الشعر الجاهلي، الدالة على اطراد ظاهرة الإسكان، وشمولها للحركات الثلاث[20].

وللإسكان فائدتان:

الأولى: صوتية

وهو تيسير اللفظ بالتخلص من توالي الحركات، حتى لو كان هذا المتحرك ذا وظيفة إعرابية **قال ابن جني (ت 392هـ)**[21]: "ومن ذلك قال ابن مجاهد: قال عباس سألت أبا عمرو عن: **"يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ"** [سورة البقرة من الآية 129] فقال أهل الحجاز يقولون "يعلمُهم ويلعنُهم" مثقلة -[يقصد مضمومة]-، ولغة تميم يعلمْهم ويلعنْهم، قال أبو الفتح: أما التثقيل فلا سؤال عنه، ولا فيه؛ لأنه استيفاء واجب الإعراب؛ لكن من حذف فعليه السؤال؛ وعلته توالي الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركات الإعراب، وعليه قراءة أبي عمرو **"فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ"** [سورة البقرة من الآية 54] فيمن رواه بسكون الهمزة"[22].

والثانية: دلالية

وهي الدلالة على الجزم بأداء الفعل وحصوله من غير تأخر أو تردد، والمتأمل في الأمثلة القرآنية التي قرئت بالإسكان – عند أبي عمرو -، يلحظ جلاء هذا الأمر بوضوح ومن ذلك: **"أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ"** [سورة الملك من الآية 20]، وفيه جزم بتحقق النصر الإلهي الموعود، و**"يَأْمُرُكُمْ"**، وفيه إيحاء بوجوب الامتثال للأمر الرباني من دون تماطل، ومعنى الجزم بالفعل المراد إيصاله للسامع ملموس أيضا في شواهد شعرية.

قال كمال بشر: "وربما أتوا بالسكون في غير الأمر للدلالة على التأكيد وتقوية الكلام كما ترى في قول **امرئ القيس**[23]:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِـنَ الله وَلا وَاغِلِ[24]

وقول **جرير**[25]:

ما لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِـزٍّ يَلُوذُ بِهِ إلا بَنُو العَمِّ في أَيْدِيهِمُ الخَشَبُ

سِيرُوا بَنُو العَمِّ فَالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ وَ نَهْرُ تِيرى فَمَا تَعْرِفْكُمُ العَرَبُ[26]

بل إن أبا عمرو بن العلاء من القراء السبعة ومن أئمة النحاة قرأ: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ" [سورة البقرة من الآية 67] بإسكان الراء، لما كان استنكار المأمورين له ظاهرا ونفورهم منه قريبا"[27].

ولأنّ الإسكان جنوح للتخفيف، والتيسير فإنه من اختصاص القبائل البدوية، وقد جاء في الكتاب لسيبويه نسبته لبكر بن وائل وأناس كثير من تميم[28]، و ذكر بعضهم أنّها لتميم، وأسد، وبعض نجد[29].

أما في القراءات القرآنية فلم يُرْوَ إلا عن أبي عمرو البصري، وعلى الرغم مما أثير حولها من النقاشات والتحليلات، التي أراد بعض اللغويين والنحاة من خلالها نفي ورود الإسكان الخالص عن أبي عمرو، إلا أن ذلك ثبت متواترا عنه، وقراءة أبي عمرو من رواية الدوري يقرأ بها إلى اليوم في السودان وحضرموت، وهي بذلك خلدت ظاهرة صوتية في اللسان العربي، الذي، يميل أهله إلى تيسير النطق، بالتخلص من الحركة.

رابعا: الإشمام:

"والإشمام في عرف القراء يطلق باعتبارات أربعة"[30]:

أحدها: خلط حرف بحرف، نحو: الصراط، وأصدق، ومصيطر.

والثاني: خلط حركة بأخرى نحو: قيل وغيض.

والثالث: إخفاء الحركة فيكون بين الإسكان والتحريك كما يأتي في: **"تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ"** [سورة يوسف من الآية 11].

والرابع: ضم الشفتين بعد سكون الحرف، وقفا.

واختصر هذه الأنواع الأربعة، غانم قدوري الحمد، وجعلها ثلاثة:

الإشمام الوقفي، والإشمام الصرفي، والإشمام الصوتي[31].

فأما الوقفي، فالذي يكون من إشارة القارئ بالشفتين بعد تسكين الحرف، وهو نوع من أنواع الوقف على أواخر الكلم، ولا أثر سمعي له، قال **الداني** في تعريفه: **"وأماحقيقة الإشمام فهو ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلا"**[32].

وقد روي هذا النوع من الإشمام عن أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، قال الشاطبي:

والإسْكَانُ أَصْلُ الوَقْفِ وَهْوَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ الوَقْفِ عَنْ تَحْرِيكِ حَرْفٍ تَعَزَّلا

وعِنْدَ أَبِي عَمْرٍو وَكُوفِيِّهِمْ بِهِ مِنَ الرَّوْمِ والإِشْمَامِ سَمْتٌ تَجَمَّلا[33]

وأما الصرفي، فهو: الذي "يختص بالفعل الثلاثي المعتل العين إذا بني لما لم يسم فاعله، كما في نحو: قِيل وبِيع وخِيف، والأصل: خُوِف وبُيِع وخُوِف نظير الصحيح في مثل كتب، لكن العرب تستثقل الكسرة بعد الضمة، كما تستثقل الواو بعد الكسرة فتصرفت في هذا النوع من الأفعال"[34].

وفيه خلطُ حركةٍ بحركة، إذ يمزج القارئ بين حركتين في آن وهما الكسرة والضمة. وسماه غانم قدوري الحمد صرفيا لإشارته ودلالته على الأصل الصرفي للفعل، ومع ذلك فهو يمثل في حقيقة الأمر ظاهرة صوتية بامتياز، تسمع وترى، إذ ينبغي للقارئ أن يضم شفتيه تماما كما يفعل عند اللفظ بالضم الخالص، ويأتي في الوقت نفسه بالكسرة، فنرى حينئذ الشفتين وهما على هيئة النطق بالضم، ونسمع في الوقت نفسه كسرة.

وروي هذا النوع من الإشمام عن حمزة والكسائي في: **"قيل" و"غيض"، وعن نافع في: "سيء" و "سيئت".**

وأما الصوتي، فهو: "خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي"[35].
وهذا النوع صوتي محض، وهو يحدث بتأثير الأصوات بعضها في بعض، قال سيبويه: "هذا باب الحرف الذي يُضارَع به حرفٌ من موضعه والحرف الذي يُضارَع به ذلك الحرف وليس من موضعه، فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: مصدر وأصدر والتصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك ولم تدغم الذال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهي من نفس الحرف فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت فجعلوا الأول تابعا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل هذا، وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام وذلك قولك في التصدير التزدير وفي الفصد الفزد وفي أصدرت أزدرت، وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الدال صادا لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل"[36].
وقال **ابن مجاهد**: "أما إمالة الصَّاد إِلَى الزَّاي فَلِأَن الصَّاد وَإِن كَانَت من حُرُوف الإطباق فَهِيَ مهموسة والطاء مجهورة فقلبت الصَّاد إِلَى حرف مجهور مثلهَا مؤاخ للصاد بالصفير ليَكُون مجهورا كالطاء"[37].
وروي هذا النوع من الإشمام، عن حمزة في نحو: الصراط، ويصدر، وأصدق...

سادسا: الرَّوْمُ

وهو عند القراء: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها فتسمع لها صوتا خفيا، وهو ضرب من ضروب الوقف التي تقدم ذكرها، المروية عن أبي عمرو وقراء الكوفة، قال السخاوي: "هو الإشارة إلى الحركة مع صوت خفي"[38]، وقال الشاطبي:

وَرَوْمُكَ إِسْمَاعُ الْمُحَرَّكِ وَاقِفًا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ كُلَّ دَانٍ تَنَوَّلا[39]

ونلحظ أن الشاطبي، قيد الرَّوم بوجود منصت قاصد السماع بخلاف غيره من غافل أو أصم[40].
ولما كان الروم تبعيضا للحركة بصوت خفي، فإنه لا يضبط إلا بأخذه مشافهة من القراء المهرة.
وترام حركة المعرب رفعا وجرا والمبني على الضم والكسر.

ملحوظة:

أولا: كل من الرَّوم والإشمام نقلا رواية، جاء في التيسير ما نصه: "ووردت الرواية عن الكوفيين وأبي عمرو بالوقف على ذلك بالإشارة إلى الحركة وسواء كانت إعرابا أو بناء والإشارة تكون روما أو إشماما"[41]، وهذا خلافا لما ذهب إليه إبراهيم أنيس من أن الرَّوم والإشمام وسيلة تعليمية ابتدعها القراء للتعريف بالحركة الإعرابية إذ قال: "لذلك لجأ القراء إلى تلك الوسيلة التعليمية التي تبين لنا بوضوح وجلاء عناية أصحاب القراءات بأصول الإعراب كما وضعها النحاة، وتوضح لنا أيضا سيطرة هؤلاء النحاة على القارئين والمقرئين. لا أظن إذن أن ما يسمى الوقف بالإشمام أو الروم مما يمت لوقف العرب على الكلمات بصلة ما. ولا أظن أن أحدا من الصحابة الأولين كان يقف بهاتين الطريقتين في قراءته، وإنما هما من الوسائل التي اخترعها القراء فيما بعد لهدي الناشئين إلى حركات الإعراب في أواخر الآيات"[42].
وكلامه هذا مردود عليه من وجوه هي:
أ- إنه يصف القراء بما ليس فيهم من الابتداع وترك الاتباع.
ب- إنه يرد وجوها في القراءة منقولة بغير دليل اللهم إلا الظن والتخمين.
ج- إنه يجعل القراء أسرى للنحاة وقياسهم وهو غير صحيح البتة، فقد أجاز النحاة روم الحركات الثلاث في حين لم يقرأ القراء إلا بروم الكسرة والضمة وقوفا عند المنقول، ومنع النحاة اختلاس الفتحة وتخفيفها بالإسكان وعللوا بخفتها في حين أجرى القراء الاختلاس والإسكان على الحركات الثلاث، كذلك اتباعا للمنقول وهو ما يثبت أن القراءة بكل وجوهها وصلا ووقفا، عمدتها الرواية وأن القراء ملتزمون بها لا بغيرها.
ثانيا: يشترك الروم والاختلاس في: أن كلا منهما تبعيض للحركة، ويختلفان في القدر، فيذهب في الروم معظمها، ويبقى معظمها في الاختلاس، ولأن كلا منهما تجزيئ للحركة فلا مجال لضبطها إلا بالسماع والمشافهة.

المبحث الثاني: نماذج من الظواهر الصرفية المحفوظة قرائيا:

للقراءات القرآنية الفضل في خلود صيغ، وظواهر صرفية عديدة منها:

أولا: جواز اجتماع الساكنين:

القاعدة في اللغة أن لا يتوالى ساكنان؛ سواء كان ذلك في كلمة أو في كلمتين، وإن حدث فهو استثناء قليل دعت إليه الضرورة الصرفية والصوتية ومع خلاف كبير بين النحاة في بيان حالات الجواز قال **أبو حيان (ت 745هـ)**[43]: "إن الكوفيين أجازوا الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريّون"[44]، إلا أنّهم على اتفاق في ثلاث حالات هي[45]:

أ- إذا كان الساكن الأول حرف مد ولين أو ياء تصغير والساكن الثاني مشددا نحو: طامّة.

ب- في أسماء الحروف نحو: قاف، صاد، نون .

ج- عند الوقوف على الكلمات نحو: بيت، خوف، رزق.

إلا أن بعض الوجوه القرائية المتواترة حفظت غير ما تقدم ذكره، إذ جمع بين الساكنين في كلمة: "نعما"، في رواية قالون عن نافع، وقراءة أبي عمرو، وفي الإدغام الكبير عند أبي عمرو، إذا سبق الحرف المدغم بساكن صحيح، نحو: "شهر رمضان"، "الرّعب بما".

ثانيا: تخليد بعض الأوزان الصرفية

العربية لغة الاشتقاق، وتلك ميزة ضمنت لها العطاء المتجدد، وتضمن لها الحياة.

ولقد حفظت القراءات القرآنية جملة من الأوزان الصرفية التي تمنح للعربية سعة وجمالا، ومن ذلك: تخليد بعض أوزان المصادر غير الشائعة نحو: فِعَّالا ككِذَّابا، وذكر أبو حيان أنها لهجة يمانية ومنها قول أحدهم، وهو يستفتي: "الحلق أحب إليك أم القِصَّار؟" يقصد: التقصير، وقول آخر، وهو يفسّر آية: "لقد فسّرتها فِسَّارا" يريد: تفسيرا"[46]، وتِفعالا كتِبْيَانا، ولهذا الوزن أثر في اللهجات المحلية كقولهم كسّر تكسارا، كما خلدت القراءات القرآنية بعض أوزان صيغ المبالغة، غير الشائعة، نحو: فَعُلٌ كرَؤُف، بالقصر، بقراءة أبي عمرو حيث وقع في القرآن الكريم، وفَعَالٌ بفتح العين ومدّها كبَرَاءٌ، وفُعّال بضم الفاء وفتح العين ومدها مشددة: ومنه كلمة "كُبَّارًا".

وقد اجتهد العلماء في توجيهها، وقدموا في ذلك تفسيرات عديدة، منها: إنّ هنا بمعنى: نعم، واستبعد بدخول اللام في الخبر ، لكن الأقرب أن توجّه بنزولها على لغة القصر، وتكون بذلك هذه القراءة شاهدة لتلك اللغة.

المبحث الثالث: نماذج من الظواهر النحوية المحفوظة قرائيا

أثّرت القراءات القرآنية في النحو العربي، وأثرته، بأن كانت سببا في نشأته، ومددا له بالمسائل، وشاهدا وحجة لبعض قواعده، ومن ذلك:

أولا: جواز ورود الفعل الماضي حالا:

أسهمت القراءات القرآنية في التأسيس لقواعد نحوية، والشهادة لها، ومن ذلك جواز مجيء الفعل الماضي حالا، وهو مذهب الكوفيين[47]، وعليه **قوله تعالى: "أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ"** [سورة النساء من الآية 90]، ""حصرت" فعل ماض، وهو في موضع الحال، وتقديره حصرةً صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ: "أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ "، وهي قراءة الحسن البصري، ويعقوب الحضرمي[48]، والمفضل عن عاصم"[49].

ثانيا: جواز الاختلاف في الفصائل النحوية من حيث التذكير والتأنيث

الجنس من الفصائل النحوية المهمة، وهو مسألة لغوية بحتة لأن ما يُذكّر في لغة قد يؤنث في أخرى، وما يؤنث في لغة، قد يُذكر في غيرها؛ كما هو الحال مع الشمس فهي مؤنثة في العربية، مذكرة في الفرنسية وأما القمر فهو مذكر في العربية مؤنث في الفرنسية.

وللتأنيث علامات منها التاء والألف الممدودة والمقصورة، ومع ذلك فثمة أسماء مؤنثة من دون علامة تأنيث كالشمس وثمة أسماء اختلف في تأنيثها وتذكيرها، أو اعتبرت أنها تصلح مذكرة ومؤنثة في آن واحد، وإنما مردّ ذلك إلى اللّهجات وعليها وردت القراءات[50]، ومنها كلمة: **"سبيل"**، إذ قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم قوله تعالى: **"وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ"** [سورة الأنعام من الآية 55]، بالتاء ورفع السبيل على الفاعلية، وقرأها شعبة

عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، بالياء والرفع على الفاعلية أيضا، وقرأ نافع وأبو جعفر بتاء الخطاب ونصب السبيل على المفعولية، فعلى القراءة الأولى: السبيل مؤنثة، وعلى الثانية مذكرة، وعلى الثالثة تحتمل التأنيث، والتذكير معا.

خاتمة:

هذا، وقد انتهى المقال، إلى:

أولا: أنّ تعدد وتنوع الظواهر السابقة -صوتية أو صرفية أو نحوية-، يشهد لسَعة، وغِنَى اللّسان العربي، ويعترف للّغة العربية بالجلال، والجمال، وهي جديرة بكل عناية واهتمام، والوقوف على ذلك يوسع أفق المعرفة اللغوية –التي تعد أساسا لغيرها، ويمنع الخصومة العلمية، فما تحظره هذه المدرسة النّحوية أو الصّرفية، تجيزه أخرى، وما يمتنع في هذه اللهجة، يباح في غيرها.

ثانيا: بيان الأصل الفصيح لبعض الظّواهر اللّغوية، والخصائص اللّهجية، ممّا يعدّه بعضهم عامّيّا صِرفا.

ثالثا: تأكيد الأهمية المعرفية للقراءات القرآنية، فهي تمثل مجالا بحثيا لغويا، وشرعيا خصبا، وهي توفّر مادّة دراسيّة عظيمة.

وعليه، فالبَحَثَةُ، والدراسون مدعوون لمزيد عناية بها (القراءات القرآنية، متواترها وشاذها)، والانطلاق منها لتعميق، وتوسيع الدرس اللغوي العربي.

الإحالات:

1-القراءات **في اللغة** من قرأ يقرأ قرءً، وقرآنا، وقراءة. **القاموس المحيط**، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب **الفيروز أبادي**، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط1 سنة 1425 هـ/2004 م، باب الهمزة فصل القاف، ص 77. **وفي الاصطلاح**: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مَعْزُوًّا لِنَاقِلِهِ" **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، مُحَمَّد بن مُحَمَّد **بن الجزري**، دار البلاغ للنشر والتوزيع – الجزائر، ط 1، سنة 1424 هـ/ 2003 م، ص17، ويلحظ أن تعريف ابن الجزري هو لعلم القراءات، وأما القراءات فيمكن تعريفها بـــ:

كيفياتٌ في النطق بألفاظ القرآن الكريم، مسندة لرسول الله ﷺ، معزوة لناقلها.

2 - وإليها يعود الفضل في نشأة الدرس الصوتي العربي، ولها الفضل أيضا، في إمداده بالمادة العلمية، والموضوعات، والمصطلحات الصوتية، والمنهج العلمي الصوتي.

3- **النشر في القراءات العشر، أبو الخير مُحَمَّد بن الجزري**، قدم له علي مُحَمَّد الضباع ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 2 سنة 1423هـ/2002م، ج2، ص24.

4- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه، ج 2 ص .25

6- هو إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني، مفت مالكي وشيخ القراء بالديار التونسية، من تلامذته مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير، من مؤلفاته النجوم الطوالع شرح على الدرر اللوامع لابن بري، توفي سنة 1349هـ. ينظر **معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة**، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ط1، سنة 1414هـ/ 1993م، ج1، ص41.

7- **النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، إبراهيم المارغني،** دط، دت، ص .116

8- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني علم بالفقه وبالحديث ورجاله وبتفسير القرآن وقراءاته، قرأ وقرئ عليه، مؤلفاته عديدة منها التيسير في القراءات السبع، توفي سنة 444 هـ. ينظر **غاية النهاية في طبقات القراء، مُحَمَّد بن الجزري**، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط3، سنة 1402هـ /1982م، ج1، ص.503

9- النشر، ابن الجزري، ج 2 ص .24

10- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

11- **اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر دط، سنة 1999م، ص 141.

12- ينظر **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، القاسم بن فِيرُّه بن خلف **الشاطبي**، ضبط وتصحيح مُحَمَّد تميم الزعبي، دار الهدى للنشر والتوزيع المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، ط3، سنة 1417 هـ/ 1996م، ص28.

13- **الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء، والرواة، وأصول القراءات، وعقد الديانات بالتجويد، والدلالات**، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان **الداني**، تحقيق وتعليق، مُحَمَّد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط 1 سنة 1420 هـ/1999 م. ج 2، ص629.

14- هو القاسم بن فِيرُّه، **الشاطبي**، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة من الأندلس، من كبار أعلام القراءات، اختصر كتاب التيسير للداني في منظومته الشهيرة حرز الأماني. توفي سنة 590هـ. ينظر غاية النهاية، ابن الجزري، ج2، ص20، وما بعدها.

15- حرز الأماني، الشاطبي، ص18.

16- ينظر ، **إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري** تحقيق مُحَمَّد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب بيروت، ط 1 سنة 1417هـ/ 1996م، ج 2 ص 69، **وعبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، الكنز في القراءات العشر**، تح خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - مصر، ط 1 سنة 1425 هـ / 2004م، ج 1 ص .241

17- ينظر **اللهجات العربية والقراءات القرآنية - دراسة في البحر المحيط**، **محمد خان**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط 1 سنة 2002م، ص 299.
18- ينظر **البحر المحيط في التفسير**، **أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي**، اعتنى به صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، سنة 1425هـ / 2005م، ج 6 ص 163.
19- **الكتاب**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر **سيبويه**، تخريج إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، سنة 1420 هـ/ 1999م، ج4 ص 230- 234.
20- ينظر **القراءات في الأصوات والنحو العربي-أبو عمرو بن العلاء-**، **عبد الصبور شاهين**، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط1، سنة 1408هـ/ 1987م، ص 321 – 322.
21- هو أبو الفتح عثمان بن جني، كان أبوه روميا، لغوي ونحوي وصرفي، مؤلفاته عديدة منها: الخصائص وسر صناعة الإعراب والمحتسب في توجيه القراءات الشاذة، توفي سنة 392هـ. ينظر **الفهرست**، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف **بابن النديم**، شرح وتعليق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط2، سنة 1422هـ / 2002 م، ص 138.
22- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان **بن جني**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 1 سنة 1419هـ/ 1998م، ج1، ص195.
23- هو جندح بن حجر بن عمرو الكندي الملقب بامرئ القيس، وهو من أهل نجد، شاعر جاهلي، قيل فيه أنه: "أشعر الناس"، من آثاره ديوان من الشعر. ينظر **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم **بن قتيبة**، دار إحياء العلوم بيروت – لبنان، ط 3 سنة 1407 هـ / 1987 م، ص 52.
24- **الديوان**، **امرؤ القيس**، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت – لبنان، ط 1 سنة 1409 هـ / 1989 م ص 258.
25- هو جرير بن عطية الخطفي، من شعراء بني كليب بن يربوع، من آثاره ديوان من الشعر، عمّر نيفا وثمانين سنة ومات باليمامة. ينظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 309.
26- **الديوان**، **جرير**، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، دط، سنة 1398 هـ/ 1978، ص 45.
27- **دراسات في علم اللغة**، **كمال بشر**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة- مصر دط، سنة 1998م، ص173-174.
28- الكتاب، سيبويه، ج 4 ص 230.
29- ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الراجحي، ص 157.
30- ينظر **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع** ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم **أبو شامة الدمشقي، تحقيق، إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د ط سنة 1402 هـ / 1891 م**، ص 71 – 72.
31- ينظر **الإشمام في اللغة حقيقته وأنواعه**، **غانم قدوري الحمد**، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد التاسع، سنة 1431هـ، ص 202.
32- **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو عثمان بن سعيد **الداني**، تصحيح أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، سنة 1416 هـ/ 1996م، ص 54.
33- حرز الأماني، الشاطبي، 365 - 366، ص 30.
34- ينظر الإشمام في اللغة حقيقته وأنواعه، غانم قدوري الحمد، ص 214.
35- إبراز المعاني، أبو شامة المقدسي، ص 71.
36- الكتاب، سيبويه، ج 4 ص 477.
37- **السبعة في القراءات**، **أبو بكر بن مجاهد**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة - مصر ط2 سنة 1400هـ، ص 108.
38- **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي**، مكتبة السوادي جدة – السعودية، ط5 سنة 1420هـ/ 1999م، ص 174 – 175.
39- حرز الأماني، الشاطبي، ص 30.
40- ينظر ، إبراز المعاني، أبو شامة268.
41- التيسير، الداني، ص 54.
42- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 223.
43- هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الغرناطي، ولد سنة 654 هـ، لغوي ونحوي ومفسر، من أشهر مؤلفاته البحر المحيط، وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم ، توفي سنة 745هـ، ينظر ، **طبقات المفسرين**، **شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد الداودي**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة ط سنة 1329هـ/ 1972م، ج2 ص 286 – 290، وعادل نويهض، معجم المفسرين، ج 2 ص655.
44- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج 1 ص 47 – 48.
45- **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، **محمد عبد العزيز النجار**، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية القاهرة – مصر، دط، سنة 1401هـ/1981م، ج4 ص 429 – 430.
46- البحر المحيط، أبو حيان، ج 8 ص 414 .
47- ينظر **القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية**، **عبد العال سالم مكرم**، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ، ط 3 سنة 1417 هـ / 1996 م ص 111.

48- وهي قراءة متواترة.
49- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ص 111.
50- اللهجات العربية، الراجحي، ص 178.

مراجع المقال:

1- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة الدمشقي، تحقيق، إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د ط سنة 1402 هـ / 1891 م.
2- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء، والرواة، وأصول القراءات، وعقد الديانات بالتجويد، والدلالات، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، تحقيق وتعليق، مُحَمَّد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط 1 سنة 1420 هـ/1999 م.
3- الإشهام في اللغة حقيقته وأنواعه، غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد التاسع، سنة 1431هـ.
4- إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري تحقيق مُحَمَّد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب بيروت، ط 1 سنة 1417هـ/ 1996م.
5- الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، تحقيق خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - مصر، ط 1 سنة 1425 هـ / 2004م.
6- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، اعتنى به صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، سنة 1425هـ / 2005م.
7- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، سنة 1416 هـ/ 1996م.
8- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي، ضبط وتصحيح مُحَمَّد تميم الزعبي، دار الهدى للنشر والتوزيع المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، ط3، سنة 1417 هـ/ 1996م.
9- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة- مصر دط، سنة 1998م.
10- الديوان، امرؤ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت – لبنان، ط 1 سنة 1409 هـ / 1989 م.
11- الديوان، جرير، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، دط، سنة 1398 هـ/ 1978.
12- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة - مصر ط2 سنة 1400هـ.
13- الشعر والشعراء، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار إحياء العلوم بيروت – لبنان، ط 3 سنة 1407 هـ / 1987 م.
14- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مُحَمَّد عبد العزيز النجار، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية القاهرة – مصر، دط، سنة 1401هـ/1981م.
15- طبقات المفسرين، شمس الدين مُحَمَّد بن علي ابن أحمد الداودي، تحقيق علي مُحَمَّد عمر، مكتبة وهبة القاهرة ط سنة 1329هـ/ 1972م.
16- غاية النهاية في طبقات القراء، مُحَمَّد بن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط3، سنة 1402هـ /1982م.
17- الفهرست، أبو الفرج مُحَمَّد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم، شرح وتعليق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط2، سنة 1422هـ / 2002 م.
18- القاموس المحيط، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1 سنة 1425 هـ/2004 م.
19- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت–لبنان،ط3 سنة 1417 هـ/ 1996م.
20- القراءات في الأصوات والنحو العربي-أبو عمرو بن العلاء-، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط1، سنة 1408هـ/ 1987م.
21- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تخريج إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، سنة 1420 هـ/ 1999م.
22- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر دط، سنة 1999م.
23- اللهجات العربية والقراءات القرآنية - دراسة في البحر المحيط، مُحَمَّد خان، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط 1 سنة 2002م.
24- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 1 سنة 1419هـ/ 1998م.
25- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ط1، سنة 1414هـ/ 1993م.
26- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الجزري، دار البلاغ للنشر والتوزيع – الجزائر، ط 1، سنة 1424 هـ/ 2003 م.
27- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، إبراهيم المارغني، دط، دت.
28- النشر في القراءات العشر، أبو الخير مُحَمَّد بن الجزري، قدم له علي مُحَمَّد الضباع ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 2 سنة 1423هـ/2002م.
29- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادي جدة– السعودية، ط5 سنة 1420هـ/ 1999م.